فكر العربية

مجلة دورية ثقافية فكرية محكمة

الثقافة الشعبية: استلهام، وظائف، تحولات

- جدل التقاطع والقطع بين الحكاية الخرافية والقصة القصيرة جدا
- الحرف اليدوية في الحكايات الشعبية
- صورة المرأة في حكايات الأولياء
- منظومة القيم في الحكاية الشعبية المغربية
- قضايا وأشكال قصص الأطفال
- التلقي في الفرجة الشعبية المغربية

العدد السابع - السنة الرابعة - خريف 2020

المركز الدولي للأبحاث والدراسات العربية

Centre International des Recherches et les Etudes Arabes

فهرس الموضوعات

مساهمة التراث الشعبي في العمل الدبلوماسي العربي *

ذ. ناسمي محمد*

مقدمة:

ارتبط مفهوم التثمين بتدبير الأساليب التي تمكن من مواكبة سلسلة إنتاج الثروات الطبيعية والاقتصادية من البداية إلى النهاية على أحسن وجه، وذلك للرفع من قيمتها وخلق الثروة والتنمية، لكن مفهوم التثمين الذي ارتبط دائما بعالم الاقتصاد والتنمية، يمكن أن تكون له امتداداته في مجال الثقافة، خاصة إذا علمنا أن العالم العربي يتوفر على عدة مناجم ثقافية منها ما هو مستغل، ولكن أغلبها إما استغلالها ضعيف أو غير مستغلة، ومنها التراث الشعبي الذي يعتبر منجم ذهب ينتظر التثمين والاستغلال الأمثل حتى يكون محركا لعجلة التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ويتجاوز ذلك للعب أدوار دبلوماسية، عبرها يوطد العالم العربي علاقاته مع الدول الأجنبية، ويعزز مكانته على الصعيد الدولي، وهو ما يحاول هذا المقال معالجته عبر إبراز الدور الذي يمكن أن يلعبه التراث الشعبي في العمل الدبلوماسي العربي.

1 - تراثنا الشعبي العربي... والتراث المشترك للإنسانية.

انطلقت حركة جمع وتدوين التراث الشعبي في أوربا باعتباره من أهم مظاهر الهوية القومية لكل كيان من الكيانات القومية التي بدأت تتشكل على أنقاض الإمبراطوريات الأوربية، وباعثها الأساسي في ذلك تقوية الشعور القومي لشعوب هذه الكيانات، "فبدأ دارسوا الآثار في إنجلترا والباحثون في ألمانيا يبدون اهتماما كبيرا بأساليب معيشة الطبقات الدنيا، ففي ألمانيا بدأ الأخوان: ياكوب وفيلهلم جريم عام 1812 في نشر مجموعة كتب كان لها تأثيرها الكبير عن القصص الشعبي الشفهي، وتفسيرات للميثولوجيا الجرمانية"[1] ، ولهذا فلا غرابة أن نجد أن أغلب البحوث والدراسة التي اهتمت بالتراث

---

* باحث مغربي.

الشعبي حاولت دراسته من حيث هو من الموروثات والإرث الثقافي، وربطه بالأجداد والأسلاف، وهو ما يظهر جليا في تعاريف الموسوعات والمعاجم المتخصصة، فنجد معجم مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور يحدد تعريف التراث بأنه "عناصر الثقافة التي تتناقل من جيل إلى آخر"[2] ، أو من خلال تعاريف التي قدمها عدد من الباحثين مثل ماك جريجور Mc Gregor الذي عرف التراث بكونه "الخصائص البشرية العميقة الجذور على نحو أو آخر- أي الاتجاهات الثابتة أو الطرق الثابتة في أداء الأشياء - التي تتناقل من جيل إلى آخر"[3] ، ولهذا كان التراث الشعبي دائما مرتبط بحياة كل شعب من الشعوب وعلاقته بماضيه، وهذه الوضعية لم يشذ عنها الوطن العربي، لكن فيما بعد سيبدأ الاهتمام بدراسة التراث الشعبي بطريقة أفقية من خلال استحضار البعد الجغرافي للتراث الشعبي خاصة أنه "تدل الشواهد الواردة في الدراسات المونوجرافية لأبناء هذه المدرسة -المدرسة التاريخية الجغرافية- على أن قصصا وأغان قصصية شعبية معينة قد استطاعت أن تقفز بسهولة فوق الحواجز اللغوية، وقد يتم ذلك بسهولة أكبر من عبور الحدود الثقافية"[4] ، وهو ما أكدته منظمة اليونسكو في مصطلح التراث الثقافي غير المادي، واعتبرت أن من خصائصه أنه تراث جامع بمعنى أن "أشكال التعبير المنبثقة عن التراث الثقافي غير المادي التي نمارسها قد تكون مشابهة لأشكال التعبير التي يمارسها الآخرون، وسواء كان هؤلاء من قرية مجاورة أو من مدينة تقع في الجانب الآخر من العالم"[5] ، والتراث الشعبي العربي يزخر بعدة أشكال مشتركة لا يسعنا المجال هنا لعرضها بالتفصيل، فمثلا من عناصر التراث الشعبي العربي المدرجة على القائمة التمثيلية لعناصر التراث الثقافي غير المادي لمنظمة اليونسكو، يوجد الصيد بالصقور الذي سجل مع كل من (ألمانيا، المملكة العربية السعودية، النمسا، بلجيكا، الإمارات العربية المتحدة، إسبانيا، فرنسا، هنغاريا، إيطاليا، كازاخستان، منغوليا، باكستان، قطر، سوريا، كوريا، التشيك، المغرب)، وهنا يظهر المشترك الإنساني لتراثنا الشعبي العربي.

ولهذا فتوظيف التراث الشعبي العربي خاصة في جوانبه المشتركة وامتداداته الإقليمية والعالمية، يشكل بلا شك أحد أهم ركائز الدبلوماسية العربية، والتي يمكن أن تعتمده في الترويج للقيم العربية ولنموذج العربي، وبهدف تحسين العلاقات على المستوى الخارجي، ومد جسور التعاون مع الدول والشعوب الأخرى.

2 - مساهمات التراث الشعبي في الدبلوماسية العربية.

إن ثراء وتنوع التراث الشعبي العربي يمكن أن يساهم بشكل قوي في الدبلوماسية العربية، كما يمكن أن يكون أهم وسائل الأشكال الدبلوماسية الأخرى، خاصة مع ظهور فاعلين جدد في تشكيل العلاقات الخارجية بين الدول والشعوب، حيث نرى اليوم دبلوماسية جديدة أو دبلوماسية المستقبل، التي أدت إلى توسيع العمل الدبلوماسي، وتجاوز الدور الرسمي للدولة.

الدبلوماسية الرسمية (دولة/دولة):

لا يخفى على أحد أهمية الدبلوماسية الرسمية في العلاقات الدولية، ودورها في تحقيق السلم والأمن العالميين، وتعزيز العلاقات الثنائية بين الدول، ويمكن للتراث الشعبي العربي بمختلف أشكاله وبتعدد روافده، أن يشكل أحد الأساليب والوسائل التي يمكن أن تعتمد عليها الدول العربية بقوة في تحقيق أهدافها ومصالحها، وتعزيز مكانتها الدولية، وحاليا تتعدد أشكال توظيف التراث الشعبي في الدبلوماسية الرسمية، ففي ما يخص الزيارات الرسمية لرؤساء وزعماء ووفود الدول الأجنبية نجد حضور عددا من العادات والتقاليد العربية العريقة، وقيام السفارات والقنصليات العربية بالخارج خلال الاحتفالات بالأعياد الوطنية على تنظيم حفلات توظف الطبخ، والموسيقى، والأزياء، والتقاليد والعادات العربية، لتوثيق العلاقات الثنائية والتعريف بالهوية العربية، هذا بالإضافة إلى توقيع الدول العربية لعدد من اتفاقيات التبادل الثقافي مع مجموعة من الدول الأجنبية.

الدبلوماسية الثقافية (دولة/شعب):

أدركت الدول العظمى منذ القديم على أهمية إدماج العنصر الثقافي في سياساتها الخارجية والدبلوماسية، لما له من عدة أدوار فاعلة وتحقيق نجاحات ملموسة وبآليات ناعمة وفاعلة، وهكذا تبلور نوع جديد من الدبلوماسية هي الدبلوماسية الثقافية، ولعل من أبرزها نموذج فرنسا التي أعطت للثقافة مكانة هامة داخل وزارتها الخارجية، وأنشأت لها عدة مؤسسات ومعاهد أبرزهما المعهد الفرنسي L'Institut français والأليانس فرانسيز Alliance française المؤسستان التنفيذيتان لجميع الأنشطة الثقافية الفرنسية في الخارج.

والدول العربية اليوم معنية أكثر من قبل في تبني دبلوماسية ثقافية قائمة على نشر الثقافة العربية، والمساهمة في إشعاعها الخارجي، بهدف تحسين صورة الوطن العربي على الصعيد الخارجي، ومد جسور التعاون مع باقي شعوب العالم، عبر معاهد تعنى بالثقافة العربية مثل تجربة معهد الشارقة للتراث، أو عبر تنظيم عدة تظاهرات ثقافية ذات إشعاع عالمي في الداخل مثل بعض المهرجانات، واستغلال مجموعة من المؤهلات، والآليات الأخرى مثل السينما، الفن، الكتاب والنشر، وغيرها.... في الرفع من شأن صورة العرب في الخارج.

الدبلوماسية الشعبية (شعب/شعب):

تعتبر الدبلوماسية الشعبية من أهم الأشكال الدبلوماسية التي يمكن أن تساهم بدور كبير وفعال في تنفيذ السياسة الخارجية العربية، وخدمة قضاياها وتحقيق أهدافها على الصعيدين الإقليمي والدولي، خاصة مع التحولات التي يشهدها العالم نتيجة انتشار التعليم، والثورة في مجال وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي، وبروز الحكامة الجيدة في التدبير، وتنامي دور الجمعيات، والمنظمات غير الحكومية، والوفود الدبلوماسية الشعبية خاصة في بعض القضايا الدولية مثل القضية الفلسطينية،

وهذه "الدبلوماسية الشعبية لا تستطيع أن تنجح إلا بدبلوماسيين شعبيين يأتون من عموم الشعب ويفهمون لغته، ويحسون بأحاسيسه ويعملون من أجل خدمته"[6]، وهي دبلوماسية شعبية أيضا حتى في وسائلها، وهنا يأتي الدور الكبير للتراث الشعبي العربي وحملته من الكنوز البشرية الحية، في عمل مثل هذا النوع من الدبلوماسية، في التعريف بالوطن العربي في الخارج، وهويته، وثقافته، والدفاع عن مصالحه وقضاياه، والتأثير على الرأي العام الدولي.

الدبلوماسية الفردية (مواطن/مواطن أو مواطن/شعب):

يُعرف هذا النوع من الدبلوماسية بدبلوماسية المواطن، وتختص بالمجالات "العلمية والثقافية والأكاديمية والتعليمية والطلابية والمجالات الفنية وغيرها"[7]، وأذكر هنا مثلا المساهمات الفردية الخاصة بالباحثين والكتاب العرب ومشاركاتهم المشرفة والفعالة والغزيرة في المجلات العربية والعالمية الثقافية والمحكمة وخاصة منها المتخصصة في التراث الشعبي، من خلال مقالات ودراسات تعرف القارئ العربي بالتراث الشعبي العربي وتنوعه، وامتداداته، إضافة للحضور الدائم للمثقفين العرب في الندوات والملتقيات الدولية، دون أن ننسى المسابقات سواء في لجان التحكيم أو في حصد الجوائز، وهو ما ساهم بشكل كبير في تلميع صورة العالم العربي وكسبه سمعة جيدة بهؤلاء الباحثين، وهو ما يجب على المسؤولين إيلاء المزيد من الاهتمام للمثقف العربي وإعطائه ما يستحقه من العناية والاهتمام، ودعم حضوره في الساحة الثقافية خاصة وأن دوره لا يقل أهمية عن باقي الأشكال الدبلوماسية الأخرى.

الدبلوماسية الرقمية (آلة/آلة):

ساهمت الثورة التكنولوجية في مجال المعلوميات والاتصال التي شهدها العالم في بروز دبلوماسية جديدة هي الدبلوماسية الرقمية والتي تقوم على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي مثل فايسبوك وتويتر ويوتوب، وغيرها... إضافة إلى المواقع الالكترونية والجرائد الالكترونية.... للتواصل مع الجمهور الأجنبي، وقد عرفها فرغاس هانسون بأنها " أحد الاستخدامات الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات لتحقيق الأهداف الدبلوماسية"[8]، ورغم أن هذا النوع من الدبلوماسية يتميز بسهولته وقلة تكلفته لكن ينطوي على عدة صعوبات أهمها إستراتيجيات إعداد المحتوى الرقمي الذي يجب أن يخاطب وجدان الجمهور الأجنبي ويبرز الصورة الجيدة للوطن العربي، والتي يمكن أن تكون مادته تاريخ العرب العريق، وتنوع جغرافيته، وتراثه الشعبي الغني، وهكذا يمكن أن تنتقل الدبلوماسية من الواقع اليومي إلى الفضاء الالكتروني، وهو ما يمكن من تجاوز الدور الرسمي للدبلوماسية التقليدية.

خاتمة: يتمتع الوطن العربي بعدة مؤهلات غير مادية ومنها تراثه الشعبي الغني والمتنوع والمشترك في عدد من عناصره مع مناطق ودول أخرى، وهو بذلك يعتبر ثروة حقيقية يمكن أن تعتمد عليها الدبلوماسية العربية في وسائل عملها وأيضا في تحقيق أهدافها، والتي يمكن أن تكون أكثر نجاعة

وفعالية إذا ما تم زيادة الاهتمام بالتراث الشعبي، والرفع من درجة التنسيق بين جميع الفاعلين في الدبلوماسية العربية بمختلف مساراتها والمهتمين بالتراث الشعبي، وتشجيع الإعلام الثقافي والأعمال الفنية والسينمائية العربية التي تُعرف بالوطن العربي، وهنا يأتي الدور الرسمي للدول العربية في تثمين التراث الشعبي واستثماره في العمل الدبلوماسي.

■ الهوامش:

1 - محمد جوهري و آخرون، النظرية في علم الفولكلور، الأسس العامة و دراسات تطبيقية، القاهرة، 2003، ص 9.

2 - إيكه هولتكرانس، قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور، ترجمة محمد الجوهري و حسن الشامي، ط2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 1972. ص 88.

3 - مرجع نفسه، ص 89.

4 - د.دورسون، نظريات الفولكلور المعاصرة، ترجمة حسن الشامي ومحمد الجوهري، 2007، ص 44.

5 - اليونسكو، ما هو التراث الثقافي غير المادي، ص 4.

6 - فاضل محمد، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية، ع 43، ص 145.

7 - زياد صبحي محمد الغريز، دور الدبلوماسية الشعبية في تعزيز الموقف الدولي تجاه القضية الفلسطينية، بحث لنيل الماجيستير في الدبلوماسية والعلاقات الدولية، جامعة الأقصى، 2015، ص 23.

8 - وائل عبد العال، الدبلوماسية الرقمية ومكانتها في السياسة الخارجية الفلسطينية، سلسلة أبحاث وسياسات الاعلام، مركز تطوير الإعلام، جامعة بيرزيت، كانون الثاني، 2018، ص 9.